

## نشأة و تأسيس المسرح الجزائري

أ/بن داود احمد

قسم التاريخ جامعة تلمسان

الكتابة عن تاريخ نشأة المسرح الجزائري و تأسيسه مساهمة جادة في التأريخ للشأن الثقافي، وذلك لان الدراسات التاريخية ، و خاصة بالنسبة للفترة المعاصرة من تاريخ الجزائر ، ركزت بالخصوص على الجانبين السياسي و العسكري و أهملت إلى حد ما الجانب الثقافي ، لهذا فالمسرح الجزائري لم يحظ بنصيبه من البحث و الدراسة بالرغم من انه ظاهرة اجتماعية ثقافية ، لعبت دورا هاما في تسلية الشعب الجزائري و تربيته ، و تجنيده عند الضرورة لمواجهة الاستعمار ، باعتبار أن المسرح احد أشكال المقاومة الثقافية و رافد من روافد الحركة الوطنية الجزائرية.

تحاول هذه الدراسة تتبع مسار نشأة و تأسيس المسرح الجزائري و الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المتعلقة بذلك من شاكلة: ما هي الجذور التاريخية للمسرح الجزائري ؟ و ما هي العوامل المساعدة على ظهوره ؟ ، وهل تفاعل مع الحركة الوطنية؟.

### 1- الجذور التاريخية للمسرح الجزائري:

على غرار باقي البلدان العربية، لم تعرف الجزائر المسرح بالمفهوم الحديث، أي باعتباره نوعا أدبيا وفنا له أصوله وقواعده المتعارف عليها حديثا، إلا في مطلع القرن العشرين<sup>1</sup> ، وقد أشار إلى ذلك أحمد توفيق المدني في قوله «لعل قطر الجزائر - بعد جزيرة العرب- هو القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل وينشأ به المسرح العربي، ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه»<sup>2</sup>.

لكن إذا كان هذا التأخر في ظهور المسرح يشمل كافة البلدان العربية، باعتبار أن الطقوس الاجتماعية والدينية التي عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية، قبل الإسلام، لم تتطور إلى فن مسرحي، كما حدث في أجزاء أخرى من الأرض<sup>3</sup> ، فإن هذا لا ينفي وجود أشكال مسرحية بدائية إضافة إلى محاولة جادة في الجزائر، خلال القرن التاسع عشر، متمثلة في مسرحية « نزهة المشتاق و غصة العشاق في مدينة تريباق بالعراق » لصاحبها إبراهيم دانيوس<sup>5</sup> سنة 1835.

لقد تم اكتشاف مخطوط المسرحية من قبل الباحث الانجليزي فيليب ساد جروف<sup>6</sup>، بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وتم طبعه ضمن كتاب عنوانه: «الحركة المسرحية عند يهود البلاد العربية في القرن التاسع عشر»<sup>7</sup>، ألفه بالتعاون مع الأستاذ ش.موييه ويعتقد ساد جروف أن هذه المسرحية تحمل نفس الأهمية من حيث الريادة، إن لم تكن الأولى في العالم العربي، إلى جانب مسرحية «البخيل» التي اقتبسها مارون النقاش عن موليير وعرضها ببيروت سنة 1848.<sup>8</sup> إن العثور على هذه المسرحية، حسب كمال بن ديمراد، ليدعو إلى إعادة النظر حول الخطوات الأولى للمسرح في الوطن العربي<sup>9</sup>، لكن نقص المعلومات والدراسات الكافية حولها، تجعل الباحث يحجم عن إصدار أي حكم حول من كانت الريادة في الوطن العربي في مجال الإبداع المسرحي، فحتى سعد الله يكتفي بالقول، أثناء حديثه عن هذه المسرحية: «لا ندري إن كانت تمثل أو لا، وفيه أدوار نسوية أيضا، وتدور أحداثها في العراق وتمثل قصة حب خيالية يبدو أنها مستوحاة من ألف ليلة وليلة»<sup>10</sup>.

أما بالنسبة للأشكال المسرحية البدائية أو العفوية، كما تسميها بافيه، والتي تشكل الأرضية التي سيقوم عليها المسرح الجزائري<sup>11</sup> فهي متعددة ومتنوعة، لأن المسرح في أي بلد من البلدان لم يولد مباشرة في بناء جاهز يضم فرقة من الممثلين لها برنامج وعروض مسرحية<sup>12</sup>، بل بدأ بأشكال مسرحية بدائية<sup>13</sup>، من أهمها نذكر:

- مسرح الكراكوز<sup>14</sup> وخيال الظل، ويعرف كذلك بالمسرح الصيني، وقد أطلق عليه سعد الله المسرح التقليدي<sup>15</sup>، عرفته الجزائر قبل دخول العثمانيين وتطور إبان حكمهم لها<sup>16</sup>، خاصة وأنهم حملوا معهم، بعد استقرارهم بها، عاداتهم وآدابهم وفنونهم بما في ذلك مسرح الكراكوز وخيال الظل، الذي كانت عروضه تقدم خاصة خلال شهر رمضان «حيث تمتد السهرات وتسمح القواعد الاجتماعية بطول المكوث خارج البيوت»<sup>17</sup> وقد استمرت هذه العروض تقدم حتى القرن 19 حيث أشار العديد من الرحالة إلى وجودها مثل بوكلير ميسكان (-PUKLER MUS KAN) الذي، حسب أرليت، شاهد عروض الكراكوز بالجزائر العاصمة سنة 1835<sup>18</sup> والتي استمرت إلى غاية منعها من قبل الإدارة الاستعمارية التي اعتبرتها عاملا محرزا على الثورة.<sup>19</sup>

- الأشكال التمثيلية الشعبية التي يزخر بها التراث الجزائري والتي مهدت «لظهور الممثل وولادة المسرح الحقيقي»<sup>20</sup>، والمتتمثلة في الاحتفالات الدينية والاجتماعية، والحركات الخارقة لعيساوة، والطواف والوقوف عند مقابر الأولياء، والاحتفالات المرتبطة بيوم عاشوراء التي كانت تصاحب بعرض تمثيلية<sup>21</sup>. إضافة إلى ذلك نجد المداح الذي كان يجوب الأسواق، والراوية والحلقة، ثم

الاحتفالات المرتبطة بالمناسبات الفصليّة الفلاحية التي كانت تقام على طول شهور السنة<sup>22</sup> كالتوزيع والأم تانونجا<sup>23</sup>.

تمثل هذه الأشكال «بوادر مسرحية قديمة وأصيلة ومؤسسة على مهارة عربية محلية»<sup>24</sup> لكن لم تتطور وتكتمل ضمن إطار أدبي درامي، وذلك لعدة أسباب واعتبارات ليست موضوع هذه الدراسة.

## 2- العوامل المساعدة على ظهور المسرح الجزائري:

لقد تأثر المسرح الجزائري، في مسار تطوره، بعدة عوامل، واستفاد من تجارب الأمم الأخرى من أجل شق طريقه، ليصبح ظاهرة اجتماعية وثقافية في منتصف العشرينات من القرن الماضي، بإنتاج درامي دائم ومستمر، وهذه العوامل يمكن ترتيبها حسب أهميتها كما يلي:

### أ- زيارة الفرق المسرحية العربية

عرفت الجزائر انطلاقا من مطلع القرن العشرين توافد وزيادة مجموعة من الفرق المسرحية العربية من أكثرها تأثيرا على مسار تطور المسرح الجزائري نذكر:

\*فرقة القرداحي التي زارت كلا من تونس والجزائر سنة 1908 وحققت زيارته، حسب قمارا نجاحا باهرا.<sup>25</sup>

### \* فرقة التمثيل المصري لجورج أبيض

قام الفنان اللبناني جورج أبيض<sup>26</sup> بجولة عبر البلاد العربية مع فرقته، فزار ليبيا وتونس ثم الجزائر سنة 1921، وقدم عدة عروض مسرحية بقاعة المسرح الجديد بالجزائر العاصمة هي: «ثارات العرب»، «صلاح الدين الأيوبي»<sup>27</sup>، «نجيب حداد»، و«مجنون ليلي»، وقد امتد نشاط الفرقة ليشمل تلمسان و قسنطينة، حيث قدم فيها عروضاً مماثلة<sup>28</sup>.

لقد حضت هذه الزيارة باهتمام كبير من قبل الدارسين للشأن المسرحي، نظرا للتأثير الذي كان لها على المسرح الجزائري، وذلك رغم اختلافهم في تحديد هذا التأثير و مدى نجاح هذه الزيارة، فمرتاض يقول في هذا الصدد: «كانت بمثابة هزة كبيرة للمثقفين من الشباب الجزائري يومئذ مما أفضى بعد ذلك إلى قيام فرقة التمثيل العربي بالجزائر....»<sup>29</sup>، أما محمد الطاهر فضلاء فيعلق على الزيارة بما يلي: «العامل الحقيقي في بدء النهضة المسرحية في الجزائر»<sup>30</sup>.

لكن رغم ذلك، فإن بعض الباحثين يعتبرون بأن الزيارة كانت ذات تأثير محدود، ولم تحقق

أهدافها، بل وفشلت، حيث لم تستطع العروض المقدمة استقطاب سوى جمهورا قليلا من المتفرجين<sup>31</sup>، وهذا الفشل يفسره هؤلاء بالعوامل الآتية:

- ضعف مستوى اللغة العربية لدى الجزائريين، وصعوبة فهمها وانتشار الأمية بين صفوفهم.<sup>32</sup>
- عزوف النخبة المثقفة بالفرنسية عن متابعة عروض جورج أبيض، وتفصيل العروض المسرحية الفرنسية عليها.<sup>33</sup>
- عدم تعود المجتمع الجزائري على ارتياد دور المسرح ومشاهدة المسرحيات وانشغاله بهوموم ومشاكله المختلفة.
- بعد قاعة العروض المسرحية عن مركز المدينة الأوروبية، وكذلك عن أحياء سكن الجزائريين.
- ضعف الدعاية وتقصير متعهد العروض المسرحية في الترويج لها.<sup>34</sup>

رغم أن عروض جورج أبيض لم تستطع استقطاب جمهور كبير، لكن كان لها تأثير مباشر على تطور المسرح الجزائري، حيث أنه في نفس السنة سييادر مجموعة من المثقفين والطلبة الجزائريين بتأسيس «جمعية الآداب والتمثيل العربي» المعروفة بالمهذبة، في 1921/04/05 والتي ستقدم، برئاسة الطاهر علي الشريف، عدة مسرحيات، «الشفاء بعد العناء» سنة 1921 و«خديعة الغرام» سنة 1923 بقاعة الأوبرا بالجزائر العاصمة، ثم مسرحية «بديع» سنة 1924.<sup>35</sup>

#### \* فرقة عز الدين المصرية

زارت هذه الفرقة مدينة الجزائر سنة 1922، وقدمت بعض العروض المسرحية مصحوبة بمجموعة من الأغاني والمواويل الشرقية التي كان يؤديها سلامة حجازي<sup>36</sup>، وقد لاقت هذه الزيارة نجاحا كبيرا، وأقبل الجزائريون على متابعة عروضها لإعجابهم بأغاني سلامة حجازي التي كانوا يعرفونها جيدا عن طريق الأسطوانات، التي كانت متداولة آنذاك<sup>37</sup>.

#### \* فرقة فاطمة رشدي

زارت هذه الفرقة الجزائر سنة 1932، وقدمت ثلاث مسرحيات، اثنتان لأحمد شوقي وهما: «مصرع كليوباترة» و «مجنون ليلى» ثم مسرحية «العباسة أخت رشيد»، ورغم أن هذه الزيارة جاءت بعد تأسيس المسرح الجزائري وانطلاق مسيرته، لكن كان لها تأثير كبير على مسار تطوره، حيث استفاد الفنانون الجزائريون من تجربة فاطمة رشدي التي لاقت فرقها ترحابا واحتفاء كبيرا من قبل الجمهور الجزائري، وتم تكريمها في نادي الترقى بالجزائر العاصمة.<sup>38</sup>

## \* الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى برئاسة يوسف وهبي

تمت هذه الزيارة سنة 1949<sup>39</sup> وتكررت في العام الموالي، وكان يرافق وهبي فيها المفكر زكي طليمات ومجموعة من الفنانين الكبار أمثال أمينة رزق وحسن رياض وغيرهم....<sup>40</sup> وقدمت عدة عروض مسرحية في الجزائر العاصمة، وسيدي بلعباس، وتلمسان تمثلت في «الاعتراف»، «بنات الريف» و«أولاد الفقراء».<sup>41</sup>

كان لهذه الزيارة تأثير هام على المسرح الجزائري، رغم أنها جاءت في مرحلة أصبح فيها المسرح مؤسسة قائمة بذاتها، ولها موسم مسرحي رسمي، وقد أوضح ذلك مرتاض في قوله «كان لهذه الزيارة أثر عظيم جدا في الأوساط الأدبية والثقافية»<sup>42</sup>، لهذا حضت بترحاب وإقبال الجمهور الجزائري على متابعة عروضها، كما أنها كرمت عدة مرات من قبل بلدية سيدي بلعباس<sup>43</sup>، ومن قبل جمعية العلماء المسلمين وكذلك من طرف فرقة «هواة المسرح العربي» برئاسة محمد الطاهر فضلاء.<sup>44</sup>

## ب- تأثير المسرح الفرنسي:

لقد تأثر الجزائريون بالمسرح الفرنسي، واستلهموا من روائعه العديد من المسرحيات الكوميدية<sup>45</sup>، ذلك أن الإدارة الاستعمارية اهتمت بالمسرح لرغبتها في الترفيه عن عساكرها المتذمرين من المقاومات الشديدة، التي واجههم بها الشعب الجزائري، لهذا قامت بخلق فرق مسرحية للجيش الفرنسي داخل الثكنات، وفي أماكن تواجد المعمرين الأوروبيين، وذلك مراعاة لطريقة نابليون في هذا المجال<sup>46</sup>، حيث قامت بإنشاء مسرح بلدي في كل مدينة تقريبا، فكان للعاصمة مسرحها<sup>47</sup>، إذ أصدر لويس نابليون مرسوما، سيشتد بمقتضاه بناء مسرحيا رائعا خلال أعوام (1850-1853)<sup>48</sup>، وكان أول عرض مسرحي يقدم فيه دراما عنوانها «الجزائر ما بين 1830-1853»<sup>49</sup>، وكذلك الشأن بالنسبة لمدينة وهران، حيث سيتسلم مجلسها البلدي مسرح المدينة سنة 1907<sup>50</sup>.

ولكن يمكننا التساؤل، كيف أثر المسرح الفرنسي في الجزائريين؟ لقد تم هذا التأثير إما عن طريق تردد بعضهم على المسارح الفرنسية ومتابعة مختلف العروض المسرحية، وسلاحي علي يشير إلى ذلك في مذكراته: «كنا نتابع عروض الفرق المسرحية بشغف»<sup>51</sup>، أو عن طريق الفرنسيين الذين كانوا يأخذون بعض الجزائريين معهم إلى المسرح ليعرفوا رد أفعالهم، أو ليؤثروا عليهم أو كمدعويين رسميين<sup>52</sup>. إضافة إلى ذلك فإن بعض الجزائريين قد عرفوا المسرح الفرنسي، واطلعوا عليه، وقرءوا بعض المسرحيات سواء في المدارس الفرنسية أو في المكتبات العامة.<sup>53</sup>

لكن هذا التأثير يبقى عموما على مستوى الشكل والتقنيات المسرحية المستعملة، ويؤكد سلالي علي ذلك في مذكراته: «إننا مدينون للمسرح الفرنسي بالكثير، وقد استفدنا من تقنياته لخلق مسرح وطني جزائري بكل معنى الكلمة».<sup>54</sup>

### ج- ظهور مجموعة من الجمعيات والنوادي

لعبت الجمعيات و النوادي دورا هاما في ظهور النشاط المسرحي بالجزائر و من بينها نذكر:

#### - جمعية المطربية للموسيقى

تأسست سنة 1911 برأسة إدموند يافيل<sup>55</sup> و كانت خلال سهراتها الفنية تدرج تمثيليات قصيرة، أو اسكتشات كوصلات، وخاصة في شهر رمضان<sup>56</sup>، و سلالي علي قدم اسكتشاته الأولى في هذا الإطار.

#### - الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية

جعلت، منذ تأسيسها سنة 1918، من المسرح وسيلة للترفيه عن الطلبة من جهة، وطرح القضايا ذات البعد الوطني من جهة ثانية.<sup>57</sup>

#### - جمعية الآداب والتمثيل العربي

كانت تعرف بالمهذبة، تأسست على يد الطاهر علي الشريف في 1921/04/05، وقدمت ثلاث مسرحيات: «الشفاء بعد العناء» سنة 1921، «خديعة الغرام» سنة 1923، وذلك بالجزائر العاصمة، ثم مسرحية «بديع» في سنة 1924.<sup>58</sup>

#### - جمعية العلماء المسلمين

اهتمت هذه الجمعية بالمسرح منذ تأسيسها في ماي 1931، وجعلت منه وسيلة لتمرير رسالتها ونشر تعاليمها، لهذا عملت على تحفيز الكتاب، الأعضاء في الجمعية، على الاهتمام بالكتابة المسرحية، أمثال أحمد توفيق المدني ومحمد العيد آل خليفة واحمد رضا حوحو<sup>59</sup>، كما أن مدراء ومعلمي المدارس الحرة التابعة لها، كانوا يثابرون في كتابة المسرحيات وتمثيلها وذلك بمناسبة الحفلات التي كانت تنظم عند انتهاء السنة الدراسية، أو بمناسبة المولد النبوي<sup>60</sup>، ومدرسة دار الحديث بتلمسان ومديرها آنذاك محمد الصالح رمضان، نموذج في غزارة الإبداع المسرحي<sup>61</sup>.

إضافة إلى ذلك نجد جمعيات ونوادي أخرى عديدة مثل «نادي السعادة» بتلمسان والذي قدم

مسرحية «فتح الأندلس»، وجمعية «إخوان الأدب» في وهران برئاسة محمد سعيد الزاهري.. الخ<sup>63</sup>

#### د- ارتباط المسرح بالغناء والموسيقى

حيث أن الخطوات الأولى للمسرح الجزائري كانت في شكل استكتشات تقدم كوصلات أثناء الحفلات الموسيقية التي كانت تقدمها فرقة المطربة، بحيث أن الجمهور كانت تستهويه الموسيقى والغناء قبل التمثيل، لهذا فحتى بعد نشأة وتأسيس المسرح الجزائري، ظل مرتبطا بالغناء، حيث أن المسرحيات المقدمة كانت تتضمن، الواحدة منها، العديد من الأغاني.

#### 3- نشأة و تأسيس المسرح الجزائري

##### أ- الإرهاصات الأولى للمسرح الجزائري

تكاد تجمع أغلبية الدراسات والأبحاث حول المسرح الجزائري، على أن تاريخ نشأته وتأسيسه، هو مرحلة العشرينات من القرن الماضي. لكن الظاهر أن المحاولات الأولى للتمثيل قد تمت قبل ذلك، إنما لم يتم التأريخ لها، وذلك على أساس أن المسرح كان يدخل ضمن أنشطة الجمعيات والنوادي الثقافية التي ظهرت في الجزائر في مطلع القرن العشرين، لأنه حسب سعد الله، إذا لم تقدم لنا هذه الجمعيات بعض المسرحيات فماذا كانت تفعل إذن؟<sup>64</sup>

من المحاولات المسرحية التي سجلها لنا التاريخ في القرن العشرين، تلك المرتبطة بنشاط الأمير خالد<sup>65</sup>، حيث ستسمح له فرصة حضور حفل تكريم خريجي كونسرفتوار باريس سنة 1910، من أجل أن يطلب من جورج أبيض<sup>66</sup> أن يبعث له ببعض المسرحيات باللغة العربية. وفعلا بعد رجوعه إلى مصر، بعث له بمسرحية «ما كبث» لشكسبير<sup>67</sup> و«المروءة والوفاء» لخليل اليازجي سنة 1876، ثم «شهيد بيروت» لشاعر النيل، حافظ إبراهيم.

سلم الأمير خالد المسرحيات إلى ثلاث جمعيات سبق له أن أسسها بكل من الجزائر العاصمة والبلدية والمدينة.<sup>68</sup>

توسعت حركة التمثيل المسرحي لتشمل مدينة تلمسان، حيث قدمت «جمعية البركانية»<sup>69</sup> مسرحية «براد السم» سنة 1913، ثم مدينة المديّة التي ستقدم جمعيتها مسرحيتان، «مقتل الحسين» سنة 1913، والتي حضرها الشيخ محمد بن شنب، والملفتي حميد فخار، والأمير خالد، ثم مسرحية «يعقوب اليهودي» سنة 1914، لتمتد بعد ذلك إلى مدن أخرى من الجزائر.

لكن رغم هذه البداية المتعثرة للمسرح الجزائري وضعف تأثيرها على السكان<sup>70</sup>، فإنها لن

تعمر طويلا، إذ ستتوقف باندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، ولن يستعيد نشاطه إلا بعد نهايتها، حيث ستنتعش الحركة الثقافية والفكرية في الجزائر من جديد، في بداية العشرينات من القرن الماضي، في إطار النهضة التي عرفتها آنذاك، وظهور هياكل جديدة للتوزيع الثقافي وخاصة الصحافة، إضافة إلى ذلك، ازدهار حركة التأليف الأدبي والفكري، سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية<sup>71</sup>، و ظهور إمكانية إعادة بناء وهيكله الحقل الثقافي الذي تضرر كثيرا من السياسة الاستعمارية، حيث «تسبب القمع الاستعماري للانتفاضات الريفية في تصفية جل الكوادر الاجتماعية والثقافية وسادت الأمية وتفشى الجهل في كل مكان...»<sup>72</sup>.

لقد سمحت هذه الظروف للمسرح الجزائري باستئناف نشاطه من جديد على يد الطاهر على الشريف، مؤسس جمعية الآداب والتمثيل العربي، والذي سيقدم ثلاث مسرحيات باللغة العربية<sup>73</sup> جعلت بوجادي علاوة يعتبره «المؤسس الحقيقي للمسرح كفعل ثقافي وفني منظم»<sup>74</sup>، ثم محمد رضا منصالي (1889-1943) الذي سيقدم مسرحيتين، الأولى بعنوان «في سبيل الوطن» في 1922/12/22، في قاعة كورسال<sup>75</sup>، والثانية بعنوان «فتح الأندلس»، اقتبسها من رواية لجورجي زيدان وقدمها بالبليدة ولعب فيها دور طارق بن زياد.<sup>76</sup>

لكن رغم ما يبدو من نضج على هذه التجارب المسرحية، فإنها قد فشلت ولم تتمكن عروضها من استقطاب سوى جمهور قليل، وبذلك سيتوقف مسار الإبداع المسرحي لمدة سنتين كاملتين (1924-1926) وهذا التوقف، والفشل، يمكن تفسيره بمجموعة من العوامل والأسباب من أهمها نذكر:

- ضعف تكوين الجمهور الجزائري في مجال المسرح، بحيث كان يجد صعوبة في فهم مبادئه وأهدافه<sup>77</sup>.

- صعوبة فهم الجمهور للغة العربية باستثناء الفئة المثقفة.

- عدم وجود ممثلات يتقن اللغة العربية لأداء الأدوار النسائية، بحيث كانت الفرق المسرحية تلجأ في عروضها إما إلى حذف الأدوار النسائية أو إسنادها إلى رجال.<sup>78</sup>

- المشاكل المادية والتقنية التي كانت تعاني منها الفرق المسرحية، كنقص التمويل والافتقار إلى المقرات لأداء التدريبات اللازمة<sup>79</sup>، إضافة إلى ذلك قلة قاعات العروض المسرحية، حيث أن الفرق الجزائرية، كانت أحيانا تقدم عروضها في قاعات غير لائقة، ولا يمكنها استعمال قاعة الأوبرا مثلا في الجزائر العاصمة إلا عند نهاية موسم المسرح الأوروبي، أو في يوم عطلة<sup>80</sup>.

## ب- تأسيس المسرح الجزائري

أعطى الجمود الذي عرفه المسرح الجزائري في الفترة ما بين 1924-1926، الفرصة والوقت الكافيين للمسرحيين الجزائريين، وخاصة سلاي علي المعروف بعلاو، وإبراهيم دحمون، لكي يفكروا مليا في وضع الشأن المسرحي بالجزائر، ثم يعاودوا الاتصال بالجمهور من جديد بتقديم مسرحية «جحا»، وذلك باللغة العامية، في 12/04/1926، فوق ركح المسرح الجديد بالجزائر العاصمة.<sup>81</sup>

لقد حققت المسرحية نجاحا كبيرا، وإقبالا واسعا من قبل الجمهور على مشاهدتها، بحيث استقطبت في عرضها الأول 1200 متفرج.<sup>82</sup> هذا الإقبال على مشاهدتها جعل المنظمين يبرمجون ثلاث عروض جديدة لها خلال شهر ماي من نفس السنة.

إن النجاح الذي حققته هذه المسرحية، جعل كثيرا من الباحثين والدارسين للشأن المسرحي في الجزائر، يعتبرونها البداية الحقيقية للمسرح الجزائري، وتقول أرليت بهذا الصدد: «لقد كانت إبداعا اتسم بالتجديد على ثلاث مستويات، و ذلك من حيث النمط ومن حيث المواضيع ثم من حيث اللغة المستعملة، فإذا كانت المسرحيات الأولى باللغة العربية الفصحى قد دافعت عن أطروحات اجتماعية وعالجت مواضيع نبيلة كالوطنية، فإن مسرحية جحا كانت مسرحية مضحكة باللغة العامية».<sup>83</sup>

لقد تضافرت عدة عوامل وأسباب وساهمت في نجاح هذه المسرحية و من أهمها نذكر:

- تناولها لموضوع ولوحات يعرفها الجمهور الجزائري، وقريبة منه.
- الطابع الفكاهي للمسرحية وتكيفها مع عقلية وطبيعة الجزائريين.
- استعمال اللغة العامية المفهومة من قبل الجمهور الجزائري.
- الأداء الممتاز للممثلين، وتفننهم في تقمص الأدوار المسندة إليهم.<sup>84</sup>

لقد حرر عرض مسرحية جحا مجال الإبداع المسرحي، الذي أصبح يتسم باستمرارية الإنتاج، حيث سيبدع علاو ثماني مسرحيات نذكر منها «زواج بوعقلين» سنة 1926 والتي سيبتدئ فيها رشيد قسنطيني مشواره الفني، ثم يؤسس فرقة الزاهية التي سينظم إليها محي الدين بشطارزي، وبذلك يكتمل الفريق المؤسس للمسرح الجزائري، والذي قال حمومي أحمد يصده: «علاو وقسنطيني وبشطارزي، الثلاثي الذي وضع قطار المسرح الجزائري على السكة».<sup>85</sup>

لم يبق المسرح الجزائري منحصرًا في الجزائر العاصمة بل انتشر في باقي المدن الجزائرية عن طريق الجولات التي كان ينظمها محي الدين بشطارزي عبر مختلف أنحاء التراب الوطني، كما تفاعل مع الحركة الوطنية باعتباره تأسس في مرحلة غليان سياسي واجتماعي، وتبني مطالبها، وانتقد الممارسات الاستعمارية، واستخدم المواضيع التراثية والتاريخية والمقاومانية بإحياءات سياسية، بغرض تمرير رسالته النبيلة.<sup>86</sup>

وعليه يمكننا في نهاية هذه الدراسة، حول نشأة و تأسيس المسرح الجزائري، أن نصل إلى مجموعة من الاستنتاجات هي كالتالي:

-انه رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى فقد تمكن قلة من الرواد الأوائل ، محي الدين بشطارزي ، سلاي علي ، رشيد قسنطيني ، من أن يؤسسوا المسرح الجزائري بإنتاج درامي دائم و مستمر إلى غاية قيام الثورة التحريرية .

-أن المسرح الجزائري في مسار تكوينه مر بعدة مراحل ابتداء بالأشكال المسرحية البدائية إلى غاية ظهوره كمسرح قائم بذاته كنوع أدبي و فني له أصوله و قواعده المتعارف عليها.

-أن المسرح الجزائري نشأ في أحضان الحركة الوطنية الجزائرية و تشبع بقيمها و تأثر بها ، اذ تم استعماله كوسيلة كفاح و نضال ضد الاستعمار الفرنسي في إطار المقاومة الثقافية ، و جبهة التحرير الوطني كانت لها فرقة مسرحية قدمت عروضاً في مختلف الدول و ذلك للتعريف بالقضية الجزائرية و حشد الدعم لها .

#### الهوامش

- 1- ميراث، العيد. الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال التراثية، مجلة إنسانيات، العدد 12 سبتمبر - ديسمبر 2000 ، مجلد 3، ص 9 .
- 2- كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 366.
- 3- الراعي، علي. المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1980، ص 11.
- 4- يهودي جزائري (1872-1789) التحق بخدمة الجيش الفرنسي كمتّرجم إبان الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830.
- 5- قرقوة، إدريس. الظاهرة المسرحية في الجزائر، دراسة في السياق والآفاق، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص 27.
- 6- محاضر بقسم الدراسات العربية بجامعة مانشستر.
- 7- مباركية، صالح. المسرح في الجزائر، النشأة والرواء، دار الهدى، د والنصوص حتى سنة 1972 عين مليلة، 2005، ص 27.
- 8-Landau, Jacob M. Etude sur le théâtre et cinéma arabe, maisonneuve et la rose, Pa-

ris, 1965, p61

9- Bendimerad, Kamel. Si le théâtre algérien m'était conté, introduction au livre : regard sur le théâtre algérien de Ali Hafied, Casbah éditions, Alger, 2003, p 23.

10- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1989)، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص420.

11- Buffet, Roselyne. Tradition théâtrale et modernité en Algérie, éditions Harmattan Paris, 1985, P 26.

12- بوتيتسيقا، ثمارا ألكسندروفنا. ألف عام وعام على المسرح العربي، ترجمة توفيق المؤذن، دار الفارابي، بيروت، 1981، ص 64.

13- الركيبي، عبد الله. تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 214.

14- كلمة تركية: Kara.göz، وتعني العين السوداء.

15- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1989)، مرجع سابق، ص 418.

16- عمرون، نور الدين. المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، 2006، ص 61.

17- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1989)، مرجع سابق، ص 418.

18- Roth, Arlette. Le théâtre algérien de langue dialectale 1926-1954, Maspero, Paris 1967, P 14.

19- عمرون، نور الدين. المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، مرجع سابق، ص 61.

20- ميراث، العيد، المرجع السابق، ص 19.

21- Roth, Arlette. Emprunt et spontanéité dans le théâtre algérien de langue dialectale, étude publiée dans : actes du premier congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo- berbères, SNED, Alger, 1972, p306.

22- لمباركية، صالح. المسرح في الجزائر، النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، مرجع سابق، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص 21.

23- عبارة عن دمية تحملها البنات إبان مواسم الجفاف ويطوفون بها ويرددون بعض الأغاني لطلب الغيث.

24- قادة، محمد. إشكالية الكتابة المسرحية في الجزائر، دراسة نقدية لنماذج من النصوص المسرحية الفصيحة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية 2006-2008، ص 12.

25- بوتيتسيقا، ثمارا ألكسندروفنا. ألف عام وعام على المسرح العربي، مرجع سابق، ص 165.

26- أرسله خديوي مصر عباس حلمي إلى فرنسا سنة 1904 لكونسرفتورا باريس، لدراسة المسرح على نفقته. تتلمذ على يد الفنان سلفيان، وتفوق في دراسته، وفاز بالجائزة الأولى، ويعتبر أول مبعوث في تاريخ المسرح العربي لدراسة الفن دراسة علمية.

27- قرقوة، إدريس. الظاهرة المسرحية في الجزائر، مرجع سابق، ص 28.

28- مرتاض عبد المالك. الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 89.

29- المرجع نفسه، ص 89.

30- فضلاء، محمد الطاهر. المسرح تاريخا ونضالا، مجلة الثقافة، عدد 90، 1985، ص 272.

31- حسب عبد المالك مرتاض، حضر هذه العروض 500 متفرج، انظر المرجع السابق، ص 89.

- 32- لمباركية، صالح. المسرح في الجزائر ...، مرجع سابق، ص 44.
- 33- Roth , Arlette. Le théâtre algérien de langue dialectale 1926-1954. OP. Cit, P22.
- 34- Bencheneb, Saadeddine. Le théâtre arabe d'Alger, in Revue africaine, N° 77, OPU, 1935, Alger, P73.
- 35- Bencheneb, Saadeddine. Op. Cit, P74.
- 36- مرتاض، عبد المالك. الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، مرجع سابق، ص 90.
- 37- مخلوف، بوكروح. ملامح من المسرح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 142.
- 38- أبو القاسم، سعد الله. منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976، ص 131.
- 39- فضلاء، محمد الطاهر. المسرح تاريخا و نضالا، مرجع سابق، ص 284.
- 40- كانت الفرقة مكونة من 40 عضوا وموفدة من قبل الحكومة المصرية.
- 41- فضلاء، محمد الطاهر. المسرح تاريخا و نضالا، مرجع سابق، ص 284.
- 42- مرتاض، عبد المالك. الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، مرجع سابق، ص 93.
- 43- Tabet, Redouane Ainad. Sidi Bel Abbes de la colonisation à la guerre de libération en zone V, Wilaya V, ENAG, Alger, P 165.
- 44- فضلاء، محمد الطاهر. المسرح تاريخا و نضالا، مرجع سابق، ص 284.
- 45- من ضمن ذلك نذكر مثلا مسرحية «البخيل» لموليير، ثم «مريض بالوهم»، لنفس الكاتب، وقد اقتبسهما محي الدين باشطارزي.
- 46- كان نابليون بونبارت، في حروبه، يصحب معه الفرق الموسيقية والمسرحية للترفيه عن جيشه ورفع معنوياته.
- 47- أبو القاسم، سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1989، مرجع سابق، ص 412.
- 48- بوتيتيسيقا، تمارا ألكسندروفنا، ألف عام وعام على المسرح العربي، مرجع سابق، ص 140.
- 49- عمرون، نور الدين. المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، مرجع سابق، ص 68.
- 50- حمومي، أحمد. ظاهرة المسرح في الجزائر، تجربة وهران، دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2007-2008، ص 140.
- 51- Sellali, Ali. L'aurore du théâtre algérien 1926-1932, cahiers du C.D.S.H , Oran, 1982, p58.
- 52- أبو القاسم، سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1989، مرجع سابق، ص 417.
- 53- المرجع نفسه، ص 417.
- 54- Sellali, Ali. Op. Cit, P 58.
- 55- يعتبر إدموند يافيل من يهود الجزائر الذين اهتموا بالموسيقى الأندلسية وهو الذي ساعد محي الدين باشطارزي على دخول عالم الموسيقى وجعل منه رئيسا للجمعية.
- 56- Darrouy , Lucienne Jean. La musique musulmane en Afrique du nord , in B.S.G.A.A.N , N 125, Alger 1931 , p 45.
- 57- أبو القاسم، سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط2، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 103.
- 58- Bencheneb, Saadeddine. Op. Cit, P 74.
- 59- قرقوة، إدريس. الظاهرة المسرحية في الجزائر...، مرجع سابق، ص 38.

- 60- مرتاض، عبد المالك. فنون النثر العربي في الجزائر، 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 200.
- 61- توفي، محمد الصالح رمضان في 8 جويلية 2008.
- 62- المديني، أحمد توفيق. كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 367.
- 63- قرقوة، إدريس. الظاهرة المسرحية في الجزائر ...، مرجع سابق، ص 39.
- 64- أبو القاسم، سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي 1989-830، مرجع السابق، ص 418.
- 65- حفيد الأمير عبد القادر (1875 - 1936).
- 66- كان من ضمن المتخرجين وحاز المرتبة الأولى.
- 67- ترجمها إلى اللغة العربية محمد عفت.
- 68- Hammoumi, Ahmed et autres. L'Algérie, histoire, société et culture, éditions casbah, Alger 2000, P 216.
- 69- تأسست سنة 1913.
- 70- Hammoumi, Ahmed. Op. Cit, P 218.
- 71- Djeghloul, Abdelkader. Eléments d'histoire culturelle algérienne, ENAL , Alger , 1984 , 213.
- 72- رأس الماء، عيسى. الخطاب الإيديولوجي في المسرح الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2007-2008، ص 185.
- 73- سبق ذكر المسرحيات الثلاث في عنصر تأثير زيارة فرقة جورج أبيض.
- 74- الطاهر علي الشريف، رائد المسرح المغموط، مرجع سابق، ص 23.
- 75- قاعة للعروض المسرحية في باب الواد بالعاصمة، ستتحوّل بعد الاستقلال إلى قاعة سينما.
- 76- Kasbaoui, Nadia Bouzar. Émergence artistique algérienne au XX siècle Alger, OPU, 1988, P94.
- 77- Bencheneb, Saadeddine. Op. Cit, P 75
- 78- سلاي علي استعان بالمثل دحمون ليقوم بدور «حيلة»، زوجة جحا، في مسرحية «جحا».
- 79- Roth, Arlette. Op. Cit, P23.
- 80- Bencheneb, Saadeddine. Op. Cit, P76.
- 81- كانت المسرحية عبارة عن كوميديا تتألف من فصلين وثلاثة مشاهد.
- 82- Bachetarzi, Mahieddine. Mémoires 1919-1939, Tome I, ENA, Alger, 1968 , p 66.
- 83- Roth, Arlette. Op. Cit, p241.
- 84- Bendimerad , Kamel. Op. Cit, P24
- 85- Hamoumi , Ahmed , Op,cit,p218.
- 86- قادة ، محمد. إشكالية الكتابة المسرحية في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية 2006-2007، ص 18.